

التسهيل لعلوم التنزيل

@ 121 @ قال ذلك تهما بالتجارة إذ كانت أهم وكانت هي سبب اللهو ولم يكن سببها قاله ابن عطية ! 2 2 ! اختلفوا في القيام في الخطبة هل هو واجب أم لا وإذا قلنا بوجوبه فهل هو شرط فيها أم لا فمن أوجبه واشترطه أخذ بظاهر الآية من ذكر القيام ومن لم يوجبه رأى أن ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك لم يكن على الوجوب ومذهب مالك أن من سنة الخطبة الجلوس قبلها والجلوس بين الخطبتين وقال أبو حنيفة لا يجلس بين الخطبتين لظاهر الآية وذكر القيام فيها دون الجلوس وحجة مالك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ! 2 2 ! إن قيل لم قدم الله هنا على التجارة وقدم التجارة قبل هذا على اللهو فالجواب أن كل واحد من الموضوعين جاء على ما ينبغي فيه وذلك أن العرب تارة يبتدئون بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل كقولك فلان يخون في الكثير والقليل فبدأت بالكثير ثم أردفت عليه الخيانة فيما دونه وتارة يبتدئون بالأقل ثم يرتقون إلى الأكثر كقولك فلان أمين على القليل والكثير فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه ولو عكست في كل واحد من المثالين لم يكن حسنا فإنك لو قدمت في الخيانة القليل لعلم أنه يخون في الكثير من باب أولى وأحرى ولو قدمت في الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين في القليل من باب أولى وأحرى فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة وكذلك قوله إذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها قدم التجارة هنا ليبين أنهم ينفضون إليها وأنهم مع ذلك ينفضون إلى اللهو الذي هو دونها وقوله خير من اللهو ومن التجارة قدم اللهو ليبين أن ما عند الله خير من اللهو وأنه أيضا خير من التجارة التي هي أعظم منه ولو عكس كل واحد من الموضوعين لم يحسن سورة المنافقون \$. 2 ! 2 ! كانوا يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فلذلك كذبهم الله بقوله الله يعلم إن المنافقين لكاذبون ^ أي كذبوا في دعواهم الشهادة بالرسالة وأما قوله الله يعلم إنك لرسوله فليس من كلام المنافقين وإنما هو من كلام الله تعالى ولو لم يذكره لكان يوهم أن قوله الله يشهد إن المنافقين لكاذبون إبطال للرسالة فوسطه بين حكاية المنافقين وبين تكذيبهم ليزيل هذا الوهم وليحقق الرسالة وعلى هذا ينبغي أن يوقف على قوله لرسول الله ! 2 ! 2 ! ذكر في المجادلة ! 2 2 ! الإشارة إلى سوء عملهم وفضيحتهم وتوبيخهم وأما قوله آمنوا ثم كفروا فيحتمل وجهين أحدهما أن يكون